تجارة لواء كربلاء

خلال عامي ١٩١٠ـ١٩١١م

الأستاذ الدكتور

خالد بن حمود السعدون

كلية الآداب - جامعة الشارقة

The Trade of the Province of Karbala During the years 1910 – 1911

Prof. Dr. Khalid Bin Hmoud Al-Saadoon
College of Arts – University of Sharja

Abstract

This study shows that the trade of the province of Karbala during the years 1910 – 1911 was limited due to the small population of the town on one hand and the location far away from the Tigris, the passage of trade, from the other hand. These two reasons deprived Karbala from the advantage of direct trade with the outside world.

However, what had increased the prosperity of trade is the existence of the holy religious shrines in both Karbala and Najaf since many visitors come yearly. The second factor is that Karbala has borders close to the Arabian Peninsula where many convoys go to and come from Najaf, Hail and Qaseem (in Saudia Arabia).

The business was limited to exporting animal and agricultural products and importing, in return, consuming products, manufactured goods and minerals.

الملخص

تظهر الدراسة ان تجارة لواء كربلاء خلال السنتين ١٩١٠-١٩١١م كانت محدودة النطاق نسبياً من جراء قلّة عدد سكّان اللواء من جانب، ووقوعه في الداخل بعيداً عن طريق الملاحه في نهر دجلة مما حرمه من إمكانية المتاجرة المباشرة مع العالم الخارجي من جانب آخر.

وخفَّف من آثار هذين العاملين وجود المراقد الدينية في مدينتي كربلاء المقدّسة والنجف الأشرف التي تأتي إليها سنوياً أعدادً كبيرة من الزوّار من خارج العراق وداخله، مما يؤدي إلى تنشيط الحركة التجارية، كما كان ينشطها ايضاً متاخمة اللواء للصحراء مما يسّر التجارة بينه وبين دواخل شبه الجزيرة العربية، إذ كانت القوافل تروح وتغدو بين النجف وحائل والقصيم. وتأثّر النشاط التجاري في اللواء أيضاً بحقيقة اقتصار إنتاجه كلّه تقريباً على منتجات زراعية وحيوانية تصدر بشكلها الخام، وتستورد بدلاً عنها مواد استهلاكية وسلعاً مصنعة كالمعادن.

المقدمة

قليلة هي الدراسات التي تتناول الأوضاع الاقتصادية في المنطقة العربية إبّان خضوعها للحكم العثماني. وأقل منها الدراسات التي اعتمدت على إحصاءات رقمية عند تناولها ذلك الموضوع المهم، فلعلّ هذه الورقة التي تتفحّص تجارة لواء كربلاء تفتح نافذة صغيرة للإطلال عن قرب على بعض تلك الأوضاع معتمدة بدرجة رئيسة على إحصاءات أوردتها وثائق قنصلية أمريكية محفوظة في دائرة الأرشيف الوطني والسجّلات في واشنطن العاصمة

National Archives and Records Administration, Washington, D.C.

كان لواء كربلاء أحد ثلاثة ألوية (سناجق) تُشكِّل ولاية بغداد، ويُقسِّم ذلك اللواء إدارياً إلى أربعة أقضية هي المركز والهندية والنجف والرزازة[١]. وتميزّ هذا اللواء بوجود المراقد الدينية المقدّسة في مدينتي كربلاء والنجف مما يجعله مقصداً لآلاف الزوّار الذين يأتونه سنوياً من داخل العراق وخارجة، فينشطون حركة التجارة فيه، فالتعرف على تجارة ذلك اللواء عن كثب يساعد على تبيّن الآثار الاقتصادية لتلك الزيارة، كما أن توضيح حال التجارة في اللواء قد يصلح مؤشراً على حالها في بقية الألوية العراقية، مع الأخذ بنظر الاعتبار الفروق القائمة بينهما من حيث المساحة وعدد السكان وطبيعة المنتجات وغيرها.

ومن حسن الصّدف أن القنصل الأمريكي في بغداد قد أفرد في تموز-يوليو ١٩١٢م تقريراً خاصاً عن تجارة كربلاء خلال العامين مدار البحث، وسيكون ذلك التقرير المصدر الرئيس لمادة هذا البحث، إذ ستقارن معلوماته بمعلومات مصادر معاصرة أخرى فضلاً عن بعض الدراسات الحديثة.

وقد بدأ القنصل الأمريكي تقريره بالتعرف باللواء، فذكر أنه أحد ألوية ولاية بغداد، وعاصمته الإدارية مدينة كربلاء الواقعة على بعد ستين ميلاً إلى الجنوب الغربي من مدينة بغداد، وعلى بعد حوالي عشرين ميلاً إلى الغرب من نهر الفرات. ويوجد في المدينة مرقدا الحسين والعباس ابني علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، وقدَّر القنصل عدد سكان المدينة بثمانين ألف نسمة[٢]. علماً بأن القنصل نفسه قدَّر في تموز-يوليو ١٩١٢م العدد الإجمالي لسكان العراق بمليون وثمانمائة ألف نسمة[٣]. وعلى هذا تكون نسبة سكان مدينة كربلاء من اجمالي سكان العراق حينئذٍ قرابة ٤، ٤٪، ولم يحاول القنصل تقدير عدد سكان اللواء بكامله، ولكن زميله القنصل العام البريطاني في بغداد قدَّر ذلك العدد في السنين الأول من القرن العشرين بحوالي مائتين وخمسة وعشرين ألف نسمة[٤]. وانتقل القنصل الأمريكي في تقريره للقول: إن بين سكّان مدينة كربلاء جالية من الهنود البريطانيين يبلغ عددها حوالي ألف وخمسمائة نسمة، وجالية فارسية أكبر منها عدداً، ولكن العرب يشكّلون أكثرية سكان المدينة. كما أن عدداً ضئيلاً من النصارى واليهود كانوا يُقيمون خارج مدينة كربلاء في أجزاء من

اللواء، وأشار إلى وجود تمثيل قنصلي أجنبي في المدينة حيث كان يقيم فيها قنصل فارسي ونائب قنصل بريطاني ووكيل قنصلي روسي، وواجب هؤلاء جميعاً هو حماية مصالح رعايا دولهم الذين يقصدون كربلاء والنجف لزيارة مراقد الائمة[٥].

ذكر تقرير قنصلي أمريكي أُعد سنة ١٩٠٧م أن عدد زوّار العتبات المقدّسة الدينية القادمين من فارس أو عن طريقها من أواسط آسيا يبلغ حوالي ثمانين ألف زائر سنوياً، وكان أولئك الزوّار يحملون معهم عادة في ذهابهم وإيابهم سلعاً كثيرة بهدف بيعها في المدن والقرى الواقعة على طريقهم[٦].

ولم يفت القنصل الأمريكي في تقريره عن تجارة لواء كربلاء الحديث عن أثر أولئك الزوّار فقال: إن أهم العوامل التي كانت تؤثر في تجار لواء كربلاء هي زيادة أو نقص عدد الزوّار الذين يفدون عليها وما يستطيعون انفاقه من أموال خلال اقامتهم فيها. وأضاف أن أكثر الزوّار كانوا يقدمون براً عن طريق كرمنشاه – بغداد، وقد انخفض عدد الزوّار الأجانب القادمين إلى كربلاء خلال سنة ١٩١١م انخفاضاً كبيراً من جراء انعدام الأمن على هذه الطريق، خاصة في المنطقة الواقعة ضمن الأراضي الفارسية[٧]. وفضلاً عن انخفاض عدد أولئك الزوّار عدا القادمين منهم الذين لا يجلبون معهم إلّا القليل مما كانوا يحملونه عادة من سجّاد وسلع أخرى لغرض بيعها في بغداد والمدن الأخرى الواقعة في طريقهم، وكان ذلك ناتجاً عن تحوّل كثير من الفرس إلى فقراء بسبب اضطراب الوضع في فارس منذ أمد بعيد من ناحية، وعن امتناع الميسورين منهم والذين يجلبون تلك السلع عادة من القدوم لإتمام الزيارة خوفاً من مخاطر الطريق من ناحية أخرى، وانتقل القنصل بعدها للقول إن تجارة اللواء تتأثر أيضاً بواقع فقر أكثرية سكان مدينة كربلاء ذاتها وقلّة عدد سكان القرى المحيطة بها وعوزهم الشديد، فضلاً عن وقوع المدينة على تخوم الصحراء الخالية من السكان تقريباً. وأضاف أن من العوامل التي تحدّ من تجارة اللواء أيضاً ضعف انتاجه المحلي، فباستثناء بساتين النخيل المحيطة بالمدينة والممتدة على طول القناة التي تُحمل إليها المياه من نهر الفرات لا توجد سوى زراعة حبوب وقطن هزيلة[٨].

ولا يشارك مصدر معاصر مطلع القنصل الأمريكي في تهوينه من شان إمكانية الزراعة للواء كربلاء، فيتحدّث عن إنتاجه كميات هائلة من الفواكه فضلاً عن التمور[٩]. وانتقل القنصل الأمريكي في تقريره بعدها للحديث عن الثروة الحيوانية في اللواء فقال: إن الماشية والأغنام تربّى هناك على نطاق ضّيق، وأضاف أن الإنتاج الصناعي في اللواء المتخصّص للتصدير معدوم عملياً، إذ لا يوجد سوى أواني النحاس (الصِّفر) والقليل من التحف والأحذية التي تُرسل خارج مدينة كربلاء المقدّسة، أما باقي الإنتاج الحرفي فيقتصر على تلبية حاجات الاستهلاك المحلي[١٠].

ويبدو هنا أن حديث القنصل هذا يتركز على الصناعة في مدينة كربلاء فقط لا في اللواء كله،

فقد كانت مدينة النجف مركزاً لصناعة مهمة هي نسج وخياطة «البشوت» أي العباءات الصوفية والحريرية ذات الأصباغ الثابتة والمطرّزة بخيوط ذهبية «الزري»، وكان في النجف في مطلع القرن المنصرم مائتا نوع لنسج تلك البشوت وثلاثون دكّاناً لتسويقها[١١].

وانتقل التقرير بعد تلك المعلومات التمهيدية للقول إن القيمة الإجمالية لصادرات لواء كربلاء سنة ١٩١٠م بلغت (٦٨، ٨٧١) دولاراً في حين بلغت قيمة وارداته تلك السنة (٢٧٩، ٢٩٠) دولاراً[١٢]. ويجدر القول هنا إن القيمة الإجمالية لصادرات العراق عبر ميناء البصرة تلك السنة بلغت (٨، ١٠٩، ٩٥٠) دولار، في حين بلغت قيمة الواردات عبر الميناء (١٢، ٨٠٤، ١٣٦) دولار[١٣]. وبهذا تكون حصة لواء كربلاء من القيمة الاجمالية لصادرات العراق تلك السنة قرابه ٠، ٨٪ فقط، وحصته من القيمة الاجمالية للواردات العراقية ٢٪، وفي سنه ١٩١١م بلغت قيمة صادرات اللواء ما مجموع (٨٥، ٦٨٠) دولار، وقيمة وارداته (٤١٧، ١٩٦) دولار[١٤].

فسجَّلت قيمة الصادرات بذلك زيادة عن مثيلتها في السنة المنصرمة بنسبة تجاوزت ٢٤٪، في حين سجَّلت قيمة الواردات نقصاً بنسبة تقرب من ٣٠٪ عما عليه السنة الفائتة. ولعل من أسباب ذلك ما ذكر في قلّة عدد الزوّار القادمين إلى اللواء تلك السنة، ويذكر أن القيمة الإجمالية لصادرات العراق عبر ميناء البصرة تلك السنة بلغت (١٢، ٢٩٢، ٥٢١) دولار، وفي حين بلغت الواردات عبر الميناء (١٣،٨٧٨،٠٠٠) دولار[١٥]. وبذلك تدنّت حصة اللواء من القيمة الإجمالية لصادرات العراق تلك السنة وغدت حوالي ٠، ٦٪ فقط وحصته من القيمة الاجمالية للواردات العراقية قرابة ١، ٥٪.

وكما يلاحظ في الأرقام الماضية كانت تجارة الواردات العراقية تُمثِّل إلى التوسّع، وقد كان ذاك دأبها منذ أواخر القرن التاسع عشر متأثرة بعوامل عدة مثل افتتاح قناة السويس وتطور النقل البحري والنهري مما قلّل من كلفة نقل السلع الأوربية، كما أن ازدياد المداخيل المالية للملاك الزراعي وتجاوز المتعاملين بالمنتجات الزراعية وفّر الأموال اللازمة لعملية الاستيراد الواسع[١٦].

وقد أدّى ذلك الواقع من جانب وقلّة الإنتاج المحلي الموجّه للتصدير في لواء كربلاء من جانب آخر إلى ظاهر الاختلال الكبير في ميزان اللواء التجاري بين قيم الصادرات والواردات، فقد تجاوزت قيمة السلع المستوردة إلى اللواء سنه ١٩١٠م قيمة الصادرات بما نسبته أكبر من ٤٠٠٪، وتقلص الفارق في السنة التالية إلى النصف حيث زادت قيمة الواردات على الصادرات بنسبة تقرب من ٢٠٠٪، ولم يكن مرد هذا التقلّص زيادة في قيمة صادرات اللواء، بل بما بتدني قيمة وارداته تلك السنة، ولكن الإيرادات غير المنظورة المتمثِّلة بما ينفقهُ آلاف الزوّار القادمين إلى اللواء سنوياً كانت تسهم في تعديل كفتي الميزان دون ريب.

وانتقل القنصل الأمريكي بعد ذلك للحديث

في تقريره المشار إليه عن الطريقة المتبعة في إتمام عمليات التصدير والاستيراد من لواء كربلاء، فذكر أن تجار اللواء لم يكونوا يقدمون بتلك العمليات مباشرة، بل عبر تجار مدينتي بغداد والبصرة، إذ يقدم تجّار اللواء الرّاغبين في استيراد سلعة ما من الخارج طلبهم إلى مستوردي بغداد الذين كانت لهم حصة الأسد في هذه العملية عادة، فيتولّون مهمة القيادة بالإجراءات اللازمة للاستيراد، وفيما يخصّ التصدير كان مصدّرو بغداد والبصرة يشترون منتجات اللواء المعدّة للتصدير ويقومون بإرسالها إلى الخارج، وترتّب على ذلك الواقع وجود وكلاء أو مكاتب فرعية لعدد من مستوردي بغداد ومصدّريها في مدينة كربلاء[١٧].

ويتضح من التقارير أن التمور كانت تتصدّر من حيث القيمة قائمة السلع المصدَّرة من اللواء خلال السنتين مدار البحث، فقد وصلت قيمتها سنة ١٩١٠م إلى (٣٥، ٩٦٤) دولار[١٨]. فسجلت بذلك نسبة تجاوزت ٥٢٪ من القيمة الاجمالية لصادرات اللواء تلك السنة، ويذكر أن قيمة صادرات التمور العراقية من ميناء البصرة خلال السنة ذاتها قد بلغت (٢، ٠٥٦، ٩١٢) دولار[١٩]. وعليه تكون حصة اللواء من القيمة الاجمالية لصادرات التمور العراقية تلك السنة قرابة ١، ٧٪ فقط، وكانت صادرات تمور ولاية بغداد عموماً قد انخفضت قيمتها سنة ١٩١٠م من جرّاء الحظر الجزئي الذي فرضته السلطات الحكومية العثمانية على تصدير التمور من الولاية[٢٠]. أما في سنة ١٩١١فقد ازدادت قيمة صادرات اللواء من التمور بنسبة ٣٥٪ عما كانت عليه في السنة المنصرمة حيث بلغت (٤٨، ٦٠٠) دولار[٢١]. وبذلك ازدادت حصة التمور من القيمة الاجتمالية لصادرات اللواء تلك السنة وغدت أكثر من ٥٦، ٥٪ بالرغم من ارتفاع قيمة صادرات اللواء بمجملها تلك السنة كما مّر، وقد كانت القيمة الاجمالية لصادرات التمور العراقية من ميناء البصرة تلك السنة (٢، ٢٢٤، ٨٨٣) دولار[٢٢]. وبذا تكون حصة اللواء من القيمة الكلية لصادرات التمور العراقية خلال ذلك العام قد ارتفعت فبلغت قرابة ٢، ٢٪.

واحتلت المنتجات الحيوانية المرتبة الثانية من حيث القيمة في قائمة صادرات لواء كربلاء خلال السنتين مدار البحث، حيث مثّلت ما نسبته ٣٥، ٥٪ من القيمة الاجمالية لصادرات اللواء سنة ١٩١٠م، فقد بلغت قيمتها (٢٤، ٥٩١) دولار، كانت الجلود أهم تلك المنتجات المصدرة، حيث كانت قيمتها (١٤، ٠٩٣) دولار ممثّلة ما نسبته حوالي ٥٧٪ من القيمة الكلية للمنتجات الحيوانية المصدرة. وبلغت قيمة صادرات الصوف من اللواء خلال تلك السنة (٩، ٢٢٤) دولار، فسجّلت بذلك نسبة ٣٧، ٥٪ من القيمة الكلية للمنتجات الحيوانية المصدرة. وكان إسهام المصارين (أمعاء الأغنام) ضئيلاً لم يزد عن (١،٢٦٤) دولار فقط[٢٣]. ويحسن القول هنا من أجل المقارنة أن قيمة صادرات العراق كلّه من الجلود عبر ميناء البصرة تلك السنة

بلغت (٢٦٣،٦٩٤) دولار، وقيمة صادراته من الصوف (١، ٢٣٢، ٧٤٤) دولار[٢٤]. وبذا تكون حصة اللواء من القيمة الاجمالية لصادرات الجلود العراقية تلك السنة حوالي ٥، ٣٪، وحصته من القيمة الكلية لصادرات الصوف العراقي حوالي ٠، ٧٥٪ فقط.

وازدادت قيمة صادرات اللواء من المنتجات الحيوانية سنة١٩١١م بنسبة ٣٣ ٪ تقريباً عما كانت عليه مثيلتها في السنة المنصرمة، إذ بلغت (٣٢، ٧٥٥) دولار، ومثّلت بذلك ما نسبته أكثر من ٣٨٪ من القيمة الاجمالية لصادرات اللواء تلك السنة. وكانت حصة الجلود من ذلك المبلغ تبلغ(١٨، ٠٥٤) دولار، فتجاوزت بذلك مثيلتها في السنة الفائتة بنسبة ٢٨٪ تقريباً، ومع ذلك انخفض اسهامها في القيمة الاجمالية لصادرات اللواء من المنتجات الحيوانية عما كان عليه في السنة السّابقة فغدا قرابة ٥٥٪، ونتج لذلك ازدياد قيمة بقية الصادرات من المنتجات الحيوانية إذ ازدادت قيمة صادرات الصوف بنسبة ٤٢٪ تقريباً، وبلغت(١٣، ١٢٢) دولارا. مسجلة نسبة ٤٢٪ تقريباً من مجمل قيمة المنتجات الحيوانية المصدرة. وشملت الزيادة ايضاً قيمة صادرات اللواء من المصارين تلك السنة فبلغت (١، ٥٧٩) دولار[٢٥]. وتجدر الإشارة إلى أن قيمة صادرات العراق عبر ميناء البصرة من الجلود تلك السنة بلغت (٤٥١، ٣٦٠) دولاراً. وبلغت قيمة صادراته من الصوف(١، ٦٧٦، ٨٣٦) دولار[٢٦]. وبذا يكون نصيب لواء كربلاء من القيمة الكلية لصادرات الجلود العراقية تلك السنة قرابة ٤٪ ونصيبه من القيمة الكلية لصادرات الصوف العراقي ٠،٧٨، ولعلّ من المفيد التنويه هنا بالدور الكبير الذي كانت تؤدّيه قلّة من المنتجين الكبار وتجار الجملة في رفع أسعار الصوف العراقي بين آوانه وأخرى[٢٧].

ولا تحوي قائمة صادرات كربلاء خلال هاتين السنتين عدا ما تمّ ذكره إلّا منتجات مصنعة محلياً، كان اكثرها يباع لـزوّار العتبات المقدّسة عادة. وأبرز تلك المنتجات التحف والاواني النحاسية التي بلغت قيمة صادراتها سنة ١٩١٠م ما مجموعه (٧، ٦١١) دولاراً، فسجّلت بذلك نسبة مقدارها ١١٪ تقريباً من القيمة الاجمالية لصادرات اللواء العامة تلك السنة، ولكن قيمة صادرات التحف والأواني النحاسية انخفضت قيمتها في السنة التالية بنسبة تقرب من ٤٨٪ عما كانت عليه في السنة المنصرمة، حيث بلغت(٣، ٩٣٦) دولار، وتدنّى بذلك إسهامها في القيمة الأجمالية لصادرات اللواء ذلك العام حوالي ٥، ٤٪ فقط، ومن المنتجات المصنعة التي كانت تصدر من اللواء الأحذية التي بلغت قيمة صادراتها (٧٠٥) دولارات فقط سنة ١٩١٠م، وانخفضت في السنة التالية بنسبة ٤٥٪ تقريباً عما كانت عليه، حيث لم تزد عن مبلغ (٣٨٩) دولاراً فقط[٢٨].

ويظهر استعراض بنود قائمة السلع المستوردة إلى لواء كربلاء في السنتين قيد البحث ان السكَّر يتصّدر تلك البنود من حيث القيمة. إذ بلغت في سنة ١٩١٠م ما مجموعه (١٠٠، ٦٠٢) دولار[٢٩].

وسجلت بذلك نسبة مقدارها حوالي ٣٦٪ من القيمة الكلية لواردات اللواء تلك السنة، ويذكر أن القيمة الكلية لواردات العراق كلّه من السكَّر عبر ميناء البصرة بلغت تلك السنة(٢، ١٨٢، ٢٠٣) دولار[٣٠]. وبذا تكون حصة اللواء من القيمة الكلية تلك حوالي ٤، ٥٪، وهي حصة كبيرة نسبياً إذا ما قورنت مثلاً بقيمة السكّر الذي استوردته ولاية الموصل بألويتها. المتعدّدة خلال السنة نفسها والتي لم تزد عن(٣٠، ٦١٢) دولار[٣١]. أي أن استيراد لواء كربلاء من السكّر بلغت قيمتهأكثر من ثلاثة أضعاف مثيلتها في تلك الولاية، ولو قورنت قائمة واردات لواء كربلاء من هذه الزاوية أيضاً بقائمتي واردات بغداد والبصرة لتبين أن السلعة التي كانت تقف على رأس بنود هاتين القائمتين من حيث القيمة هي الأقمشة والغزول القطنية لا السكّر كما هو الحال في قائمة واردات لواء كربلاء، ولم تورد المصادر المتاحة تفسيراً لذلك الأمر الذي ربما نشأ من كثرة من يفد إلى لواء كربلاء من الزوّار وإقبالهم على شرب الشاي المحلّى بالسكر، فضلاً عما يصاحب مجالس العزاء الكثيرة من تقديم بعض المأكولات التي يدخل السكَّر في إعدادها.

وعلى الرغم من ازدياد كمية السكَّر المستورد إلى ولاية بغداد وبضمنها لواء كربلاء سنة ١٩١١عما كانت عليه مثيلتها في السنة السالفة إلا أن قيمتها قلت، مما يدل على انخفاض سعر السكَّر في مناشئه تلك السنة[٣٢]. وسرى ذلك الواقع نفسه على واردات لواء كربلاء من السكَّر في تلك السنة إذ انخفضت قيمتها بنسبة تقرب من ٢٠، ٥٪ عما كانت عليه في السنة المنصرمة إذ بلغت (٧٨، ٧٣٣) دولارا[٣٣]. ومع ذلك الانخفاض زادت حصّة السكَّر من القيمة الإجمالية لواردات اللواء تلك السنة، فتجاوزت نسبتها ٤٠٪، ويكمن السبب في الانخفاض الذي سجلته قيمه واردات اللـواء من السلع الأخـرى بنسبة تفوق نسبة انخفاض قيمة السكَّر المستورد تلك السنة. ويذكر ان القيمة واردات العراق كلّه من السكَّر عبر ميناء البصرة بلغت تلك السنة (٢، ٥٩٦، ٠٠٠) دولار[٣٤]. وبذلك يكون نصيب لواء كربلاء من القيمة الكلية لـواردات العراق من السكَّر تلك السنة قد انخفضت إلى حوالي ٣٪فقط.

واحتلَّت الأقمشة والغزول القطنية المرتبة الثانية من حيث القيمة في قائمة السلع المستوردة إلى لـواء كربلاء خـلال السنتين المعنيتين، فقد وصلت قيمتها سنة ١٩١٠م إلى (٧١، ٧٣٤) دولار[٣٥]. سجّلت بذلك نسبة تتجاوز ٢٦٪، من القيمة الإجمالية لواردات اللواء في تلك السنة، ولقد كانت القيمة الكلية لـواردات العراق من الاقمشة والغزول القطنية تلك السنة عبر ميناء البصرة (٥، ٣٦٩، ٣٧٧) دولار[٣٦]. وبذا تكون حصة لواء كربلاء من تلك القيمة قربة ١، ٣٪ فقط، وفي سنة ١٩١١م انخفضت قيمة واردات اللواء من الأقمشة والغزول القطنية عما كانت عليه في السنة المنصرمة بنسبة ٢٩ ٪ تقريباً، حيث بلغت (٥٠، ٩٥٦) دولار[٣٧]. ومع ذلك ظلّت حصتها من القيمة الإجمالية لـواردات اللواء

ثابتة عند ٢٦٪ بسبب تدني قيمة واردات اللواء الأخرى تلك السنة، ويذكر أن القيمة الكلية لواردات العراق كلّه من هذه السلعة عبر ميناء البصرة تلك السنة قد بلغت (٥، ٤٨٤، ٣٦٤) دولار[٣٨]. فتدنّى بذلك سهم اللواء من تلك القيمة إلى قرابة ٠،٩٢٪ فقط.

والسلعة التالية في قائمة واردات لواء كربلاء خلال سنة ١٩١٠م كانت النفط الأبيض (الكيروسين)، إذ بلغت قيمتها(١٦,٠٣٨) دولارا[٣٩]. فسجّلت بذلك ما نسبته حوالي ٦٪ من القيمة الإجمالية لواردات اللواء تلك السنة.

وكانت القيمة الكلية لواردات العراق من النفط عبر ميناء البصرة تلك السنة (١٣,٧٠٦) دولارات[٤٠]. وبهذا بلغت حصّة اللواء من تلك القيمة العامة أكثر من ١٢٪. ولكن قيمة ما استورد إلى اللواء من تلك السلعة خلال سنة ١٩١١م تدنت بنسبة ٣٩,٥٪ عمّا كانت عليه في السنة المنصرمة فبلغت (٩,٧٢٠) دولارا[٤١].

وتدنّى بالتالي إسهامها في القيمة الاجمالية لواردات اللواء تلك السنة فوصل إلى ٥٪. ويذكر أن القيمة الكلية لما استورده العراق عبر ميناء البصرة من النفط تلك السنة بلغت(٦٦,٠١٧) دولاراً[٤٢]. وبذا تزداد حصة لواء كربلاء من هذه القيمة الكلية لتصل إلى أكثر من ١٤,٧٪. ومن واردات لواء كربلاء ذات القيمة الكبيرة نسبياً الشاي. فقد وصلت قيمة وارداته سنة ١٩١٠م إلى (١٠,٩٣٥) دولار[٤٣]. وسجّلت بذلك نسبة تقلّ من ٤٪ من القيمة الإجمالية لواردات اللواء تلك السنة.

في حين كانت قيمة الشاي المستوردة إلى العراق كلّه عبر ميناء البصرة خلال تلك السنة(١١٠,٥٧٥) دولار[٤٤]. وعلى ذلك تكون حصة اللواء من تلك القيمة قرابة ٩,٨٪ وعلى الرغم من ازدياد قيمة الشاي المستورد إلى ولاية بغداد كلّها سنة ١٩١١م بشكل ملحوظ[٤٥] إلّا ان الشاي المستورد إلى لواء كربلاء خلال تلك السنة انخفضت قيمتهُ عما كانت عليه في السنة الماضية بنسبة ٤٤، ٥٪ تقريباً، حيث لم تزد عن (٦، ٠٧٥) دولار[٤٦].

فتدنّى بذلك إسهامها في القيمة الإجمالية لواردات اللواء تلك السنة إلى ٣٪ فقط، يذكر أن قيمة الشاي الذي استورد إلى العراق كلّه عبر ميناء البصرة تلك السنة بلغت (١١٨، ٧٣٤) دولار[٤٧]. وبذا تكون حصة اللواء من تلك القيمة قد تدنّت إلى حوالي ٥٪ فقط.

وكانت المعادن المختلفة جزءاً منقائمة واردات اللواء خلال سنتي الدراسة، فقد بلغت قيمتها ١٩١٠م ما مجموعة (١٠، ٦٧٧) دولار[٤٨]. فمثّلت بذلك نسبة مقدارها حوالي ٤٪ من القيمة الإجمالية لواردات اللواء تلك السنة. وكان نصيب الحديد والأدوات الحديدية من ذلك المبلغ قرابة ٦٧٪، والباقي للنحاس والصفر والرصاص، ويذكر أن القيمة الكلية لواردات المعادن إلى العراق عبر ميناء البصرة في تلك السنة بلغت

ما مجموعه (٤٥٤,٣٦٦) دولار[٤٩]. وعلى هذا تكون حصة اللواء من القيمة الكلية تلك حوالي ٢,٦٪ فقط، وانخفضت في السنة التالية قيمة واردات اللواء من المعادن عما كانت عليه في السنة السالفة بنسبة ٥٢٪، فلم تتجاوز (١٣٢,٥) دولار[٥٠]. وأدى ذلك إلى تدني إسهامها في القيمة الاجمالية لواردات اللواء تلك السنة ٢,٥٪. كما أدىّ إلى خفض نصيب اللواء من القيمة الكلية لواردات المعادن إلى العراق كلّه تلك السنة حوالي ١٪ فقط، إذ كانت قيمة ما وصل ميناء البصرة من المعادن تلك السنة (٥١٦,٢١٤) دولار[٥١].

واستورد لواء كربلاء خلال سنة ١٩١٠م من القهوة ما قيمته (٣، ٤٧٥) دولار[٥٢]. وهي قيمة ضئيلة لا تناسب ما هو معروف من كون القهوة المشروب الشعبي الأول للسكان العرب حينئذ، ولعل ذلك عائد لوجود مخزون من القهوة لدى تجار اللواء منذ السنة المنصرمة، جعلهم يحجمون عن استيراد المزيد منها، ويذكر أن القيمة الكلية لواردات العراق من القهوة عبر ميناء البصرة تلك السنة كانت(٢٦٦، ٨٦٧) دولار[٥٣]. وبهذا تكون حصة اللواء من تلك القيمة الكلية قرابة ١، ٣٪ فقط، وكانت قيمة واردات القهوة سنة ١٩١١م هي الاستثناء بين بقية بنود قائمة واردات اللواء، حيث تدنّت جميعها إلّا هي. فإنها ازدادت بنسبة تفوق٥٣٪ عما كانت عليه في السنة المنصرمة، حيث بلغت (٥، ٣٤٦) دولار[٥٤]. وترتّب على ذلك ازدياد إسهام القهوة في القيمة العامة لـواردات اللواء تلك السنة إلى ٢، ٧٪ بعد ان كانت تقل عن ١، ٢٥٪ في السنة المنصرمة، وأدى ذلك أيضاً إلى ارتفاع حصة اللواء من القيمة الكلية لواردات العراق من القهوة عبر ميناء البصرة تلك السنة إلى ما يزيد عن ١، ٥٪ إذ بلغت قيمة القهوة المستوردة إلى ذلك الميناء تلك السنة (٣٥٣، ٢٦٣) دولار[٥٥].

إزداد إقبال العراقيين على استهلاك الأنسجة الصوفية المستوردة[٥٦]. لذا كانت الأقمشة الصوفية بنداً آخر من بنود قائمة السلع المستوردة إلى لواء كربلاء خلال سنتي البحث، ففي سنة ١٩١٠م بلغت قيمة ما استورد منها إلى اللواء (٥، ٩٠٥) دولارات[٥٧]. وبذا مثّلت نسبة تقرب من ٢٪ من القيمة العامة لواردات اللواء تلك السنة، وبما أن القيمة الاجمالية لواردات العراق كلّه من الأقمشة الصوفية التي وصلت ميناء البصرة تلك السنة كانت (٢٩٥، ٠٩٩) دولار[٥٨]. فإن حصة لواء كربلاء منها تبلغ ما نسبته٢٪ تقريباً. أما في سنة١٩١١م فقد بلغت واردات اللواء من الأقمشة القطنية (٤، ٠٦٨) دولار[٥٩].

وسجَّلت بذلك تدنياً نسبته حوالي٣١٪ مما كانت عليه السنة المنصرمة، ومع ذلك ظل إسهامها في قيمة الواردات العامة إلى اللواء قرابة ٢٪، ولكن حصتها من القيمة الكلية لواردات العراق من الأقمشة الصوفية تدنّت إلى ما دون ١,٨٤٪ فقط، إذ بلغت تلك القيمة الكلية للأقمشة الواردة عبر ميناء البصرة تلك السنة (٤٣٧,٧٨٩) دولارا[٦٠].

وحوت قائمة السلع المستوردة إلى لواء كربلاء خلال سنتي الدراسة أواني زجاجية وبلورية، بلغت قيمة وارداتها سنة ١٩١٠م مبلغ (٤,٧٦٣) دولاراً[٦١]. فمثّلت بذلك قرابة ١,٧٪ من القيمة العامة لواردات اللواء تلك السنة، ولكن قيمة واردات تلك السلعة إلى اللواء تدنّت سنة ١٩١١م إلى (٤,٣٧٣) دولارا[٦٢].

ومع ذلك فإن أساهمها في القيمة العامة لواردات اللواء تلك السنة ارتفع عما كان عليه في السنة المنصرمة، فبلغت نسبته أكثر من ٢,٢٪، وهذا عائد لانخفاض قيمة واردات بقية السلع بنسبة أكثر قياساً لهذه السّلعة، وكانت واردات ولاية بغداد بمجملها من الأواني الزجاجية خلال سنة ١٩١١ قد بلغت قيمتها (١٣٥,٥٨٠) دولار[٦٣]. وبذا يكون نصيب لواء كربلاء من تلك القيمة حوالي ٧,٥٪.

ولم ينتبه القنصل الأمريكي وهو يعدّ تقريره الآنف الذكر عن تجارة لواء كربلاء إلى نشاط تجاري كبير كان يجري حينئذ في مدينة النجف التابعة لذلك اللواء، إذ كانت تلك المدينة أحد مراكز تجميع الإبل التي كانت تساق بعد ذلك في قطعان كبيرة شمالاً بمحاذاة نهر دجلة حتى مدينة الموصل، وتوجّه من هناك إلى حلب والإسكندرية، وكانت النجف أيضاً مركزاً نشطاً لتجارة القوافل البرية مع حائل والقصيم، حيث كانت تصلها باستمرار بعثة تجارية من حائل[٦٤].

وكان أمير حائل نفسه يزور النجف بانتظام للإشراف شخصياً على صفقات الامتياز[٦٥]، كما كانت جالية من تجار النجف ((المشاهدة)) يقيمون في بعض بلدات شمال نجد لغرض المتاجرة[٦٦].

وفضلاً عن النجف كانت هناك سوق دورية تقام في بدة ((شفاثة)) التابعة إدارياً للواء كربلاء، فيتردّد عليها البدو للقيام بما يسمونه ((المسابلة)) أي الامتياز، وكانت السلع التي تذهب من النجف إلى نجد عبر تلك الطريق تتألّف من الأقمشة القطنية الملونّة والسكر والبن والمواد الحديدية[٦٧].

كما كانت امتدادات مستمّرة من الحبوب تنقل من النجف إلى حائل حين تندر هناك في بعض المواسم[٦٨]. ويتولّى نجديون من ((العقيلات)) عادة مهمة النقل عبر الصحاري العربية[٦٩].

جدول رقم (١)

صادرات لواء كربلاء خلال عامي ١٩١٠ـ١٩٩١(*)

السلعة	القيمة سنة ١٩١٠ بالدولار	القيمة سنة ١٩١١ بالدولار
تمور	٣٥٩٦٤	٤٨٦٠٠
جلود ابقار	١٧٤٩	٢٦٢٤
جلود اغنام	١٢٣٤٤	١٥٤٣٠
مصارين (أمعاء اغنام)	١٢٦٤	١٥٧٩
تحف وأواني نحاسية	٧٦١١	٣٩٣٦
أحذية	٧٠٥	٣٨٩
صوف	٩٢٣٤	١٣١٢٢
المجموع	٦٨٨٧١	٨٥٦٨٠

جدول رقم (٢)

الأقطار المستوردة لأهم صادرات ولاية بغداد وبضمنها لواء كربلاء سنة ١٩١١م مرتبة حسب أكبر قيمة(**)

السلعة	القطر المستورد
تمور	تركيا، الهند، مصر، فرنسا، الصين
جلود	فرنسا، تركيا، بريطانيا، المانيا، الهند، أمريكا
أمعاء	أمريكا، تركيا، المانيا
صوف	بريطانيا، فرنسا، المانيا، أمريكا، تركيا

جدول رقم (٣)

واردات لواء كربلاء خلال عامي ١٩١٠ـ١٩١١(***)

السلعة	القيمة سنة ١٩١٠ بالدولار	القيمة سنة ١٩١١ بالدولار
فحم نباتي	١٠٩٣	٨٧
ساعات يد وحائطية	٢١٨	٤٣٧
قهوة	٣٤٧٥	٥٣٤٦
نحاس وبرونز ورصاص	٣٤٩٩	١٣٩٠
أقمشة قطنية	٦٦٠٤٧	٤٧٤٥٧
غزول قطنية	٥٦٨٧	٣٤٩٩
أواني زجاجية وبلورية	٤٧٦٣	٤٣٧٣
نبله	٦٣٢	٤٣٧
حديد وأدوات حديدية	٧١٦٨	٣٧٤٢
ثقاب (شخاط)	٢١٨٧	١٨٤٧
سلع غير موصفة	٢٠٢٩٠	٩٧٢٠
ورق تعبئة وقرطاسية	١٠٠٦	١٠٢٠
نفط ابيض(كيروسين)	١٦٠٣٨	٩٧٢٠
احجار رحى	٦٩٩٨	١٤٥٨
سكر	١٠٠٦٠٢	٧٨٧٣٢
تمر هند	١٥٣١	١٣١٢
شاي	١٠٩٣٥	٦٠٧٥
اقمشة صوفية	٥٩٠٥	٤٠٦٨
أعمدة وألواح خشبية	١١٦٦	١٢١٥
متفرقات	١٨٥١٩	١٣٦٠٧
المجموع	٢٧٩٢٩٠	١٩٦٤١٧

جدول رقم (٤)

مناشئ أهم السلع المستوردة إلى ولاية بغداد وبضمنها لواء كربلاء سنة ١٩١١ م مرتبة حسب القيمة الاكبر(****)

السلعة	بلد المنشأ
فحم نباتي	الهند
قهوة	بريطانيا، الهند، فرنسا، المانيا
اقمشة قطنية	بريطانيا، الهند، النمسا، المانيا، فرنسا
غزول قطنية	الهند، النمسا، بريطانيا
أواني زجاجية	تركيا، النمسا، المانيا
حديد وأدوات حديدية	بلجيكا، بريطانيا، الهند
ثقاب (شخاط)	بريطانيا، بلجيكا
ورق تعبئة وقرطاسية	النمسا، الهند، بلجيكا
نفط	الولايات المتحدة الامريكية، روسيا
سكر	بلجيكا، النمسا، فرنسا، المانيا، بريطانيا، الهند
شاي	الهند
اقمشة صوفية	بريطانيا، النمسا
نحاس	بريطانيا، بلجيكا، الهند

الهوامش والمصادر

(١) جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، دار الشؤون الثقافية، ٢٠٠١م، ص١٢٤.

(٢) National Archives and Records Administration, Washington, D.C. (Here aftter Nara), Rg 84, File No, 681, "Report an the trade of Karbala", be am Com, Baghdad, dated (Here after No, 681).

ولكن (لوريمر) يذكر أن عدد سكان مدينة كربلاء لوحدها كان مطلع القرن العشرين خمسين ألف نسمة، راجع: لوريمو، ج.ج.، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ترجمة ونشر ديوان أمير قطر، الدوحة، د.ت.، ج٣، ص ١٢١٠، وتذكر دراسة حديثة أن هدد سكان مدينتي كربلاء والنجف كان حينئذ يبلغ حوالي ثمانين ألف نسمة، راجع نقاش، شيعة العراق، قم ١٩٩٨م، ص٢٦-٢٧.

(٣) Nara, RG 84, "Annual trade Report of the Baghdad Consular District in 1911", by Am. com, bag, dated 30/7/1911).

وقد قدرَّت التخمينات البريطانية عدد سكان العراق كلّه سنه ١٩٠٥م بـ(٢، ٢٥٠، ٠٠٠) نسمة، راجع: محمد سلمان حسن، التطوّر الاقتصادي في العراق، التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي، بيروت، ١٩٦٥م، ج١، ص٤١.

(٤) لوريمر، المصدر السابق، ج٣، ص١٠٣٨-١٠٣٩.

(٥) Nara, RG 84, NO, 681.

(٦) NARA, rg, 84, "Foreign Trada Opportunltles" by Am. Con bag, dated 5/10/1907.

(٧) اضطراب الأوضاع الداخلية في فارس منذ قيام الانقلاب الدستوري سنة ١٩٠٦م وغدت مناطق غرب فارس المتاخمة للعراق خلال السنوات التالية ميداناً للصراع بين قوات الحكومية الدستورية وأنصار الحكم الملكي المطلق، راجع: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه فارس ومنير بعلبكي، بيروت ١٩٩٨م، ص٦٧٥-٦٨٢.

(٨) كارل بركلمان، المصدر السابق، ص٦٧٥-٦٨٢.

(٩) NARA, RG 84, NO, 68L.

(١٠) NARA, RG 84, NO, 68L.

(١١) لوريمر، المصدر السابق، ج٥، ص١٧٢٥.

(١٢) NARA, RG 84, NO, 68L .

(١٣) NARA, RG 84, "ANNUAL Trade Report OF Baghdad Consular Districr For THE 1910, BY AM, COM, BAG, dated 18/4/1912, (Hereafter Annual... 1910).

(١٤) NARA, RG 84, NO, 68L.

(١٥) NARA, RG 84, annual... 1911

(١٦) محمد سلمان حسن، المصدر السابق، ص٢١٥.

(١٧) NARA, RG 84, NO, 68L.

(١٨) Ibid.

(١٩) NARA, RG 84, ANNUAL..1910.

وروي أنها بلغت (٤٤٣، ٢٣٣) جنيها، أي (٢، ٢٥٤، ١١٢) دولاراً، راجع: حسين محمد القهواني، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩-١٩١٤م، البصرة ١٩٨٠م، ص٤٥١.

(٢٠) NARA, RG84, Annual...1910.

(٢١) NARA, RG84, NO. 68L.

(٢٢) NARA, RG84, Annual... 1911.

(٢٣) NARA, RG84, NO. 68L.

(٢٤) NARA, RG84, Report on the Trade of Bassrah during the year 1910: by AM. Consular Agent, Bassrah, dated 23/5/1911. (heneafter Report... Bos...1910).

(٢٥) NARA, RG84, NO. 68L.

(٢٦) NARA, RG84, Annual... 1911.

وذكر أن قيمة صادرات الجلود العراقية من ميناء البصرة تلك السنة بلغت(٥٣، ٠٧٠) جنيها، أي (٩٢٠، ٧٥٣) دولار. راجع: القهواتي، المصدر السابق، ص٤٤٩.

(٢٧) محمد سلمان حسن، المصدر السابق، ص١٤٨-١٤٩

(٢٨) NARA, RG84, NO. 68L.

(٢٩) Ibib.

(٣٠) NARA, RG84, Report... Bas...1910... .

(٣١) NARA, RG84, file No. 600, No. 73, Trade Report of the city of Mosul, by Am.Bag, daled 1/2/1913

(٣٢) NARA, RG84, foreign trade of Baghdad

consular District in 1913. By AM. Vice com. Bag.. Dated 12/6/1914.(Hereafter foreign…1913).

(٣٣) NARA, RG84, Annual… 1911

(٣٤) NARA, RG84, Annual… 1911

(٣٥) NARA, RG84, NO. 68L.

(٣٦) NARA, RG84, Report… Bas…1910…

(٣٧) NARA, RG84, NO. 68L

(٣٨) NARA, RG84, Annual… 1911

(٣٩) NARA, RG84, No.68L

(٤٠) NARA, RG84, Report… Bas…. 1910

(٤١) NARA, RG84, No.68L

(٤٢) NARA, RG84, Annual… 1911

(٤٣) NARA, RG84, No.68L

(٤٤) NARA, RG84, Report… Bas…. 1910

(٤٥) NARA, RG84, Foreign…. 1913

(٤٦) NARA, RG84, NO. 68L.

(٤٧) NARA, RG84, Annual…1911 والقهواتي، المصدر السابق، ص٤٥٣.

(٤٨) NARA, RG84, No. 68L

(٤٩) NARA, RG84, Report… Bas…. 1910

(٥٠) NARA, RG84, No. 68L

(٥١) NARA, RG84, Annual… 1911

(٥٢) NARA, RG84, No.68L

(٥٣) NARA, RG84, Report… Bas…. 1910

(٥٤) NARA, RG84, No.68L

(٥٥) NARA, RG84, Annual… 1911

(٥٦) NARA, RG84, Forelgn…1913

(٥٧) NARA, RG84, No.68L.

(٥٨) NARA, RG 84, Annual….1910.

(٥٩) NARA, RG84, No. 68L

(٦٠) NARA, RG 84, Annual….1911.

(٦١) NARA, RG84, No. 68L.

(٦٢) Ibid.

(٦٣) NARA, RG 84, Annual….1911.

(٦٤) لوريمر، المصدر السابق، ج٣، ص٩٩٨.

(٦٥) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٢٥.

(٦٦) مضاوي الرشيد، تاريخ العربية السعودية بين القديم والجديد، لندن، ٢٠٠٢م، ص٨٧.

(٦٧) لوريمر، المصدر السابق، ج٣، ص٩٩٨.

(٦٨) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٢٥.

(٦٩) عن دور العقيلات التجاري في المنطقة راجع: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، نجديون وراء الحدود، لندن، ١٩٩١م.

* NARA, RG 84, Flle No. 600, No.68 L.

** NARA, RG 84, Annual….1911

*** NARA, RG 84, FIL, NO. 600, NO 68L.

**** NARA, RG 84, Annual….1911